

# الأبنية الصحراوية في بادية الشام دراسة في نظرية الوظيفة

دكتور

محمود إبراهيم حسين

كلية الآثار

جامعة القاهرة



تعتبر الأبنية الأموية التي اكتشفت في بادية الشام ، من أكثر الآثار  
الإسلامية التي أثارَت نقاش كبير وجيد بين علماء الآثار الإسلامية ، ولقد  
اكتشفت هذه الأبنية في المنطقة الصحراوية التي تمتد جغرافياً من عبر الفرات في  
الشمال حتى البحر الأحمر في الجنوب<sup>(٢)</sup> ، ولقد لفت النظر إلى هذه المنطقة في  
بداية الأمر ، مجموعة من الرحالة الأوربيين في النصف الأول من القرن  
التاسع عشر ، وقد قام هؤلاء الرحالة بوصف هذه الأبنية الأثرية وكان هذا  
الوصف ضمن تقرير الرحلات التي قاموا بها ، ومن الملاحظ أن الوصف كان  
يعالج الشكل الخارجي لهذه الأبنية ، بالإضافة إلى وصف الزخارف الخارجية  
والداخلية ، ولم تتطرق هذه الأبحاث إلى دراسة الهدف من وجود هذه الأبنية  
والغرض من إنشائها<sup>(٣)</sup> .

ومن أقدم أصحاب هذه الاكتشافات الباحث الرحالة الذي تخصص في  
الدراسات العربية المتعلقة بالقبائل الصحراوية Alois Musil ، وقد عثر موزل  
أثناء رحلته العلمية في بداية القرن التاسع عشر إلى الشرق من عمان على بناء من  
هذه الأبنية الصحراوية ، وكان هذا البناء مزخرفاً بالألوان المائية ، وكتب  
موزل عمل ضخيم تحت عنوان « قصر عمرا »<sup>(٤)</sup> وقد أرخ موزل هذا البناء  
بالمصر الأموي<sup>(٥)</sup> ، وقد تلى هذا العمل مجموعة من الأبحاث والكتب التي  
أشارت إلى ظاهرة هذه الأبنية الصحراوية ، وأجمعوا جميعاً على نسبة عدد كبير  
منها إلى العصر الأموي . وعلى الرغم من اتفاق هؤلاء العلماء على تأريخ هذه  
الظاهرة المعمارية بالعصر الأموي إلا أنهم اختلفوا حول وظيفة هذه القصور  
وتفسير وجودها في الصحراء ، ففى الأبحاث الأولى وحتى الثلاثينات من هذا  
القرن كان الحديث يدور حول إستراحات أموية صحراوية مخصصة للتمتع  
واللهم ، وأشار هؤلاء إلى أن الخلفاء الأمويين بداء من عرب الجزيرة العربية من  
المناطق المنشرة حول مكة والمدينة ، ومع أنهم يستمتعون بما في عاصمتهم  
دمشق من طرف ومباهج — إلا أنهم يخشون إلى قضاء فترات متقطعة في  
الصحراء التي نشأوا في ربوعها ، لكنهم بعد أن اعتادوا على الإقامة في منازل  
بدلاً من بيوت الشعر فأنهم عملوا على إنشاء هذه العمائر في أماكن مختلفة من  
صحراء الأردن وفي صحراء سوريا ، وفي هذه العمائر كان الواحد منهم يقضي  
بضعة أسابيع كل سنة ، مستمتعاً بما في البادية من وسائل اللهم كالصيد

وانقضى ومباريات لفرسية ، كما أنهم كانوا يستمتعون بما توفره الحمامات من مسرات ، وما يعاصب ذلك من متعة الغناء والرقص التي كانت شائعة في تلك الأيام (٦) .

وبعد هذه المرحلة بدأ ظهور مجموعة من العلماء حاولت إيجاد مبررات اقتصادية لوجود هذه الأبنية الصحراوية . فقد ذكر هؤلاء أن الأبنية كانت مقار للمشرفين على الأراضي الزراعية المملوكة للحكام من بني أمية (٧) .

وأستشهد هؤلاء أيضاً بأن بعض خلفاء بني أمية وعلى رأسهم هشام بن عبد الملك كانوا يهتمون بحفر قنوات المياه وملها في الصحراء لرى الأراضي الزراعية (٨) .

وقد أجمع علماء الآثار على نسبة هذه الأبنية الصحراوية بصفة عامة إلى النصف الثاني من العصر الأموي أو إلى الفترة الرومانية ، ولحق أن هناك غموض حول هذه النقطة ، نحاول ايضاحه أيضاً في هذا البحث ، ذلك أن الدولة الأموية قامت نتيجة لحساس القائمين عليها وفي مراحل تأسيس الدولة بهم الرعي الأول بمسائل النهو أو المتع المختلفة بقدر اهتمام بتأمين الدولة . فتأمين الدولة الوليدة أهم من نظر هؤلاء من النهو أو حتى المشاريع الاقتصادية التي تشمل في اضافة مساحات زراعية جديدة لرقعة الأراضي الزراعية في الدولة .

وأما الفترة الثانية من عمر الدولة والمعروفة باسم البارونية ، أي ما بعد ٧٥٠ م والتي ذكر المؤرخون أن الأمويين فقدوا حماسهم السياسي الذي صحب انشاء الدولة واختفاء حيل المؤسسين ، وظهر طائفة من الخلفاء الأمويين تميزت بعدم الاكتراث والاتجاه إلى حياة النهو والمتع وهو الأمر الذي أدى إلى نهاية وإسجار الدولة في نظر أصحاب هذا الرأي (٩) .

والرد على هذا الرأي يتطلب دراسة لفترة الثانية عمر الدولة الأموية ، دراسة تحليلية للظواهر السياسية والتاريخية التي صاحبت هذه الدولة ، والواقع أن النصف الثاني من عمر الدولة قد شهد حماس شدد من قبل القائمين عليها للتعناء حتى الفن الداخلي والشوات التي ظهرت ابتداء في أهل أنحاء الدولة ،

مع استمرار السعي إلى إرسال الجيوش لفتح وستر دين الله . ففى عهد الوليد تم فتح بلاد ما وراء النهر ، كما ظهر فى عصره ثلاثة من أعظم قواد الجيوش وهم : قتيبة بن مسلم الباهلى ، ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى ، وموسى بن نصير . كما أعقب فتح بلاد ما وراء النهر محاولة فتح بلاد الصين وبلاد الهند وبلاد الأندلس ، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الخلفاء فى المرحلة الثانية الذين ذكر عنهم الميل إلى اللهو والقصف والمتع لم يستمر حكمهم طويلاً ، فعلى سبيل المثال كان أشهر هؤلاء يزيد بن عبد الملك الذى حكم من ٧٢٠ إلى ٧٢٤ م وقد جاء حكمه بعد عمر بن عبد العزيز ، وقيل أن يزيد هذا كان له جاريتين هما سلامة والثانية خبابه ( بضم الخاء ) ويقال أن خبابه أعتلت وماتت فظل يزيد إلى جوارها أياماً لا يدفنها حزناً عليها فنصحها من حوله بدفنها لأنه الخليفة وعليه أن يتصرف وفقاً لمنصبه ، فدفنها ويقال وأنه قد حزن عليها حزناً شديداً حتى مات بعدها بأيام . أما الشخصية الثانية التى أشتهرت باللهو والملاعة والمجون ، كانت شخصية الوليد بن يزيد بن عبد الملك والذى تولى الخلافة سنة وشهرين قتل بعدها بقرية من قرى دمشق على يد يزيد بن الوليد .

والملاحظ أن يزيد بن عبد الملك تولى بعد عمر بن عبد العزيز ، وأن الوليد تولى بعد هشام بن عبد الملك ، ومن هنا فإن المؤرخين أشاعوا عن يزيد والوليد ما أشاعوه بعد أن قارنوا بين عصورهم وعصور عمر بن عبد العزيز بما اشتهر عنه من عدل وسلام ، كما أشتهر هشام برجاحة العقل والعفة والتدبير وحسن السياسة . ومن هنا يمكن القول أن عصور اليزيد والوليد لم تكن بنفس روح عصور عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك .

أما فترة آخر خلفاء بنى أمية وهو مروان بن محمد فقد كانت فترة كفاح وجهاد من أجل القضاء على الفتن والثورات الداخلية ، فقد كان مروان هذا وإلى على الجزيرة وأرمينية ثم سار جنوده يزيد الشام بعد أن دب الاضطراب فى ربوع الخلافة على أثر وفاة يزيد بن الوليد . وتولى أخيه إبراهيم ، واستطاع مروان بن محمد الذى انصف بالشجاعة والحكمة الجزية أن يدخل الشام وأن يتغلب على إبراهيم بن الوليد ، ويبيع مروان بالخلافة ، ولم يلبث أن خرج عليه أهل حمص بزعامته ثابت بن نعيم . وكانت أهل تدمر برئاسة الأصمغ بن ذؤالة

انكسب غير أن مروان استطاع التغلب عليهم وهزمهم شر هزيمة ، كما ناز عليه أيضا يزيد بن خالد القسري وانصمت إليه الجيوش تجنيه لكن مروان تمكن من هزيمته وقتله وبالتالي خنصت دمشق ولم يثبت أن خرج عليه أهل فلسطين ، ولكنه أرسل إليهم الجيوش وقضى عليهم وكانت هذه حياة مروان بن محمد آخر خلفائهم وهي كما رأينا حياة كنها معارك وقتن راد منها تركز القبائل تجنيه في بلاد الشام الأمر الذي جعل مروان يتخذ بلاد الخزيرة عاصمة له ومقر للحكم بدلاً منها ، ولم يكن الحان في بلاد العراق بأحسن حالاً فقد كانت ميداناً لفتن الخوارج الذين استولت مجموعة منهم على بلاد الحجاز واليمن بقيادة المختار ابن ابى عبيدة ، وانشغل آخر خلفاء بني أمية بما يجري في البلاد من الفتن حتى لقب بالحمار لأنه كان لا يحف له ليد في محاربة الخارجيين عليه ، فكان يصل السير بالسير ويصير على مكائد الحرب<sup>(١١١)</sup> .

ومن العرض السابق يتضح لنا أن المرحلة الثانية من عمر الدولة الأموية كانت مرحلة كفاح وانشغال كامل للمحافظة على الدولة وليس مرحلة فقدان الحواس كما ذكر بعض العلماء<sup>(١١٢)</sup> .

ورما لفتت هذه الظاهرة نظر العالم الألماني E. Guhr ، فقرر البحث عن تفسيرات جديدة لوظيفة هذه القصور الصحروية وحاول جاوبه الاعتماد على تاريخ المنطقة كوسيلة لتوضيح إلى إجابة عن سؤاله : لماذا وجدت هذه القصور ؟ وما هي وظيفتها ؟ إلا أن الملاحظ على نظرية جاوبه المبالغة الشديدة في الربط بين العلاقات البيزنطية والقبائل العربية على حدودها وخاصة الفساسنة<sup>(١١٣)</sup> . وحاول أن يجعل من تلك العلاقة نموذج للعلاقة بين الدولة الأموية وحلفائها من القبائل العربية ، وسعى أن الدولة الأموية دولة عربية حما ودماً . ومن هنا كان أمر طبيعي أن تحصر هذه الدولة ، وظائفها العليا في يد العرب ، وذلك لأن العرب في تلك الفترة كانوا يمثلون حق الدعامة الأساسية للدولة سواء من الناحية العسكرية أو الادارية . فالأمر هنا لا يتعلق بتقيد نظام الحكم البيزنطي ، بقدر ما يتعلق باستمرارية الدولة نفسها ورؤيتها للأمر ، حقيقة أعمد أعداء الدولة الأموية على مسخط المثل على حكم الأمويين نتيجة لسانسهم في تفريغ العرب وتفصيلهم إلا انما لا يعتقد أن الأمر . كانت سوف

تستمر على نفس المنوال إذا ما طال العمر بالدولة الأموية . تلك بعض الأمور التي قامت على نظرية جازوه أخذها بعين الاعتبار . ( شكل ( ١ ) ) .

وبعد أن عرضنا مجموعة النظريات التي قبلت في تفسير ظاهرة القصور الصحراوية يجب وقبل الوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات :

( ١ ) أن القول بأن هذه الأبنية الصحراوية ترجع إلى الفترة الأموية هو أمر أكدته طبيعة هذه المباني وطرازها المصري ، ولذا فإن هلولة لإدراج هذه الأبنية لفترات ما قبل الإسلام من قبل بعض العلماء الغربيين هو في الواقع بعيد عن الحقيقة لأن الطراز في طراز هذه الأبنية وبعض الأثاث من عصور ما قبل الإسلام ، أما يورده طبيعة الطراز المصري السائد والذي استمر فترة طويلة دون تغير بالأضافة إلى عمل البيئة والمادة الخام وهي عوامل لا تتغير بتغير نظم الحكم أو شخصية الحاكمين .

( ٢ ) أن منطقة بادية الشام كانت تمثل منطقة تجمع للقبائل العربية التي قامت بالتفوحات وكانت المنطقة ملائمة جداً لهذه الوظيفة نظراً لأن أكثر المناطق طرباً من العاصمة المركزية للدولة ( دمشق ) وكذلك كانت أنسب هذه المناطق لطبيعة هذه القبائل وربما من البيئة الأصلية لها في قلب الجزيرة العربية ، ذلك لأن التضيقات الجغرافية لبلاد الشام تؤكد عدم وجود بديل لهذه المنطقة ، ذلك أن مناطق شاطئ البحر كانت عبارة عن موانئ وكانت أيضاً مناطق استقرار للسكان الأصليين لبلاد الشام ، وكان مناعها لا يناسب تواجد القبائل العربية الوافدة من عمق الجزيرة العربية ، بالأضافة إلى أن مساحة الشاطئ كانت ضيقة ولا تسمح بتواجد كثيف لهذه القبائل ، وإلى الشرق من الشريط الساحلي والمدن الساحلية نجد مناطق مرتفعة جبلية وهي مناطق تزرع اعتماداً على الأمطار ، بالأضافة إلى عدم إقبال العرب على حرفة الزراعة في تلك الفترات المبكرة ، كانت أيضاً المناطق الجبلية غير مناسبة لتواجد كثيف ومنظم للجيوش العربية ، وبلى هذه المساحة الجغرافية سهول ضيقة صالح للزراعة ، يوجد به أربعة مدن رئيسية كبيرة هي حلب وحماه وحمص

ودمشق بالإضافة إلى عدد كبير من القرى والمدن الصغيرة ، والملاحظ أن هذا السهل الضيق بمدنه وقراه كان يحوي كثافة سكانية عالية ، لا نتج تواجد هذه القبائل الحجازية ، كما أن الطبيعة الرخوة للأراضي الزراعية لا تناسب حركات هذه القبائل مع الدواب المضاحجة ، كما أن تواجد هذه القبائل العربية في المنطقة سوف يعوق عملية زراعة هذه الأرض التي كانت تمثل محوراً رئيسياً للمحجوب للعاصمة المركزية للدولة .

وهكذا يبقى في اتجاه الشرق منطقة الصحراء المتاخمة للمنطقة الزراعية ، وهي أقرب منطقة صالحة للاقامة بالنسبة لهذه القبائل العربية فهي قريبة من مناطق زراعية ، أي أنها مناطق صالحة للرعى ه بادية « وبذلك يتوفر قدر من الحشائش والأعشاب تعيش عليها الدواب المضاحجة لهذه القبائل ، وكلما ازداد عدد هذه القبائل ، وجدت لها أماكن في الامتداد الصحراوي للبادية ، وذلك لكون مناطق الصحراء مفتوحة ، وشاسعة وبالتالي كانت تعتبر حدود مفتوحة ومتحركة في مقابل الحدود الشابه التي تمثل في البحر الأبيض المتوسط وسلاسل الجبال التالية له . ( شكل ( ٢ ) ) .

وبما سبق يتضح أن تواجد القبائل العربية في بادية الشام هو ضرورة جغرافية هامة كما أن نزوح هذه القبائل من قلب الجزيرة العربية نحو الشمال هو ضرورة اقتصادية استراتيجية فرضتها سياسة الفتوحات العربية . كما أن دخول القبائل العربية إلى المدن أو السواحل كان سوف يحدث خلل في التوازن السكاني داخل هذه البلاد فزيادة أعداد البدو كان سوف يخل بالتوازن السكاني للفلاحين وسكان المدن الساحلية ، وقد يتسبب هذا في مشاكل واضطرابات داخلية كانت الدولة تفرص على تجنبها في مراحلها الأولى . ولكن لم يمنع هذا من دخول أعداد قليلة من القبائل العربية إلى مناطق الجبال السورية والمرتفعات اللبنانية وكان هذا التواجد بغرض الاستيطان .

(٣) أن الفترة الزمنية التي تواجدت فيها القبائل العربية في بادية الشام كانت طويلة نسبياً وبالتالي فقد سعى حكام بني أمية إلى إيجاد مصادر دائمة

بناءه الشرب للإنسان والدواب ومن هنا فمن المحتمل إعادة حفر آبار رومانية قديمة كانت موجودة بالمنطقة ذلك أن الرومان أدركوا أهمية المنطقة خاصة في مواجهة أطماع الدولة الساسانية مما أوجب إنشاء شبكة من الطرق لتحرك الجيوش في قلب الصحراء بالإضافة إلى حفر الآبار اللازمة على هذه الطرق وكانت هذه الآبار مجاورة لحصون صغيرة تعصرت وظائفها في الأندلس المكر في حالة وجود خطر على الدولة . وقد أعادت القبائل العربية المحاربة استخدام هذه الطرق وتركزت حول مناطق الآبار التي اعتنى بها من جديد حكام بني أمية .

(٤) ان اقامة القبائل العربية في بادية الشام ترتب عليه قيام نوعاً من التبادل التجاري بين المناطق الزراعية وبين مناطق تواجد هذه القبائل البدوية ، ويبدو أن هذه القبائل قد احتاجت إلى الحبوب واستطاعت أن تمد المناطق الزراعية بمنتجات الألبان والأغنام والدواب ، ومن هنا بنيت مخازن لهذه الحبوب في المناطق الصحراوية ، كانت تُخزن بها الحبوب لاستخراجها لمدة طويلة ، يدل على ذلك وجود اطلال لمخازن الحبوب في بعض هذه الأبنية الصحراوية .

(٥) كانت القبائل العربية الوافدة تعتبر قوات مركزية يستطيع الخليفة توجيهها إلى مناطق الاضطرابات في داخل الدولة ومناطق الفتوحات على حدود الدولة ومن ثم كان من المهم إبقاء أهل القبائل في حالة استعداد دائم للحرب عن طريق قيامها بالتدريبات العسكرية اللازمة لها ولدوابها ، وكانت مناطق بادية الشام باتساعها وترامي أطرافها من أنسب المناطق لهذه التدريبات ، ولا بد وأن الخليفة كان يحضر بعضاً من هذه التدريبات العسكرية للاطمئنان على جيوشه ودرجة استعدادهم ومن ثم كان يحتاج في اقامته إلى مكان يتريح به إبتغى فيه بقواد الجيوش ويناقش معهم الخطط العسكرية ، ومن هنا فإن وجود بقايا التحصينات الرومانية ربما يكون قد أوصى لبعض من هؤلاء الخلفاء بناء أماكن وأبنية صحراوية مزودة بمصادر المياه وبوسائل المعيشة الأخرى كمخازن الحبوب أو الحمامات وكذلك المساجد .

(٦) كان الصراع بين القبائل العربية المعروف بأسم صراع القيسية واليمية سبباً في إزدياد تواجدهم هذه القبائل في بادية الشام ، وكان ميل أحد حكام بني أمية إلى قبيلة من الأثين سبباً في إزدياد تواجدها حتى يقوم باستخدام قوتها وقت الحاجة إليها .

(٧) ان عدم رضا بعض الأطراف في قلب الجزيرة العربية وعمل وجه التوحيد في منطقة الحجاز ، من الحكم الأموي جعل من تواجدهم القبائل العربية الموالية للأمويين في منطقة استراتيجية لا غنى عنها ، للفصل بين مناطق الاضطرابات وبين عاصمة الدولة ومركزها الرئيسي .

(٨) يبدو أن تواجدهم القبائل العربية بشكل كثيف في بادية الشام لوجود الحاجة إلى بعض السكان المحليين وخاصة من الصناع والحرفيين ، ولذا فمن الملاحظ أن معظم النقوش التي عثر عليها كانت مكتوبة باليونانية بالإضافة إلى العربية وكذلك بالكتابات السورية المحلية وخاصة الآرامية التي كانت تعتبر من أبرز اللغات المستخلعة في هذه المناطق والتي يبدو أنها كانت مفهومه من العرب والسرمان ، كما أن السوريين كانوا بصفة عامة موضع ثقة من قبل حكام بني أمية ، نظراً لأهميتهم كانوا القوة الأولى التي اعتمد الأمويون عليها في تأسيس دولتهم ومن هنا كان التدخل الحضاري بين مجموعات السكان المحليين وبين القبائل البدوية الموجودة . في أماكنها منذ فترات ما قبل الإسلام والتي كانت تمتد جغرافياً من الفرات حتى البحر الأحمر - أمر منطقي وقابل للتصديق ، وبالتالي من الممكن أن يترك السكان المحليين أثر على نمط الحياة البدوية ويضيفوا إليها بعض الأنماط البسيطة من الصلابة .

## التصميم المعماري للأبنية الصحراوية في العصر الأموي

عثر في منطقة بادية الشام على العديد من النقوش التي تتعلق بأبنية صحراوية خاصة بزعماء القبائل العربية التي كانت تعيش في هذه المنطقة ، ويبدو أن هذه القبائل كانت ترتبط فيما بينها بروابط متنوعة ، وكان لزعماء هذه القبائل مقار ، يتواجدون فيها يتباحثوا في الأمور الهامة ، ويبدو أن هذه المباني كانت تشبه إلى حد كبير قصور حكام المقاطعات الأوربية<sup>(١٣)</sup> ، في القرون الوسطى . ففي الرصافة على سبيل المثال عثر على مبنى له مسقط مربع في أطراف المبنى وفي داخل الشرفية يوجد نص كتابي يقرأ : الحياة الطويلة للمندر<sup>(١٤)</sup> . وكان يعتقد أن المبنى عبارة عن كنيسة إلا أن وجود اسم المندر وهو حاكم غاني بالإضافة إلى منطوق النص لا يناسب مطلقاً وظيفة المبنى ككنيسة .

وربما كان هذا المبنى قصراً صحراوياً للمندر ، خاصة وأن سوفاجيه أثبت أن المسقط الأفقي لهذا المبنى يتشابه مع مباني رومانية سورية تستخدم كقاعات استقبال ، ويبدو أن المنطقة التي تشبه الشرفية كانت تخصص لجلوس الزوار<sup>(١٥)</sup> ، وقد ذكر T. Noldeke ، أن المندر قد استقبل مبعوث القيصر جيتيان سنة ١٥٧٥ في الرصافة<sup>(١٦)</sup> ، ويبدو هذا المبنى من الخارج كالقلعة ، وأما غرفة فكنتها تقع حول الصحن الداخلي .

ويتشابه هذا المبنى مع مبنى آخر يقع في قلب الصحراء محاط بسور ، ويبدو أن تاريخ بنائه يعود إلى القرن السادس الميلادي<sup>(١٧)</sup> ، والمبنى عبارة عن مساحة مربعة ٦٠ × ٦٠ م وتوسطه بوابه في المنتصف ويتوسط هذا المبنى صحن مربع ، تطل عليه غرف المبنى ، والملاحظ أن تصميم هذا المبنى يتشابه مع الخيمات البدوية التي تحولت إلى مباني حجرية ، حيث كانت هذه القبائل تتحرك مكاناً فسيحاً في المنتصف للاحتفالات ، ويذكرنا هذا بنوعيه المباني التي قام السلاجقة ببنائها بعد أن أصبح لهم مدناً ، فقد كانت هذه المباني السلجوقية صورة من خيميات البدو السلاجقة قبل دخولهم إلى حياة المدن<sup>(١٨)</sup> .

وإذا تركنا مجموعة الأبنية الصحراوية التي ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام ، إلى الأبنية التي وصلتنا من فترة الأموية . من أهم هذه الأبنية بناء ذو حجم صغير عبارة عن مجموعة سكنية حصينة متصلة بغرف استقبال كلها تدور حول صحن يتوسط المبنى ونسب هذا المبنى إلى الوليد الأول ، وتوليد هذا كانت أمه قيسية<sup>(٢٠)</sup> ، وبهذا فإن المبان التي قام ببنائها توليد تركرت في المناطق التي سكنها القبائل القيسية<sup>(٢١)</sup>

والمبنى الثاني الذي ينسب إلى العصر الأموي هو قصر عمرأ ، وهو يتألف من تصميم بسيط عبارة عن حمام وقاعة استقبال وبه بئر وخزان للعباب ، والملفت للنظر في تصميم هذا المبنى هو مجموعات الرسوم المائية وخاصة الصور التي تمثل ملوك الأرض ، والملاحظ في تصميم المبنى تشابه مع المبان السابقة وخاصة قاعات الاستقبال الخاصة بالمنذر في الرصافة على مسافة غير بعيدة من قصر عمرا يقع قصر الخزانة<sup>(٢٢)</sup> ، وهي تمثل من حيث التصميم طرازاً ثانياً يتألف من مجموعة من الدور السكنية يؤلف كل خمس غرف منها مجموعة واحدة كما يلاحظ أن المبنى هنا يتألف من طابقين وليس طابق واحد كما هو الحال بالنسبة لقصر عمرا<sup>(٢٣)</sup> . لوحة ٩ شكل (١٠)

ويتشابه المبنى المعروف بأسم حمام الصراخ من ناحية لتصميم قصر عمرأ . فهو يتألف من قسمين هما قاعة الاستقبال والحمام ، وقد قام علماء الآثار اعتماداً على هذا التشابه بتاريخ المبنى بين ٧٢٥ — ٧٣٠ م<sup>(٢٤)</sup> . لوحة ٧ ، ٨ شكل (٧) .

أما المبنى الموجود فوق جبل « سيس » فإنه يقع إلى جوار مجموعة من الأبنية التي ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام . وتصميم المبنى عبارة عن صحن تحيط به مجموعة من الغرف المنفردة ، ويلاحظ في تصميمه تكرار ظاهرة التناهد لتأخذ عن المساحة الخالية للوحودة في وسط شيمات تديم ، والمبنى هنا يتألف من طابقين<sup>(٢٥)</sup> ( شكل (٨) ) .

أما فيما يتعلق بالمبنى المعروف بأسم قصر المشني ، فنجد أن تصميمه سطيل ومساحته من الداخل نحو ١٥٤ متراً مربعاً ، وجوانبه الخارجية

تكتنفها أبراج نصف دائرية ، ويتوسط المدخل واجهه المبنى الجنوبية<sup>(٢٥)</sup> ،  
ويبدو أن المبنى لم يكتمل بنائه ، ويلاحظ أن المبنى من الخارج يحوى زخارف  
بيزنطية وهلينيه وسامانية كلها محفورة على الحجر الجيري<sup>(٢٦)</sup> . ( لوحة ٤  
شكل (٥) ) ويتشابه مع البناء السابق مبنى آخر يقع على بعد نحو ٦٠ كم  
جنوب شرق قصر المشتى ويعرف بأسم قصر الطوبه . وتصميم المبنى مستطيل  
طوله ١٤٠ متراً ، وعرضه ٧٣ متراً ، وفي كل زاوية من زواياه الأربع برج  
مستدير وهناك سعة أبراج في الجدار الجنوبي وبصفة عامة فإنه شديد الشبه  
بقصر المشتى ولا سيما من حيث المروج وسقوف الأبنية ومواد البناء والتفاسيم  
والزخارف<sup>(٢٧)</sup> .

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نخرج بالنتائج الآتية :

(١) أن معظم المباني التي عثر عليها كانت تقع على حافة الصحراء أى في  
منطقة البادية وفي اتجاه الجنوب أى نحو عمق الجزيرة العرية . أنظر  
خريطة (٣) .

(٢) تعد أسماء هذه القصور من العناصر التي لم يهتم بها من كتبوا حول  
موضوع القصور الأموية وهي كلها أسماء ليست لها علاقة بأصحاب  
الأبنية بقدر ما لعبت الصدفة عاملاً كبيراً في شيوعها .

فعل سبيل المثال نجد أن تشييد قصر الطوبه من الطوب جعل السكان  
يعرفونه بهذا الاسم ، وأن قصر عمرا سمي بإسم الشخص العربي الذي  
لفت نظر موزن إلى وجود البناء ، وكلمة قصر تعنى البناء ذو الطابق  
الواحد ، وقصر المشتى هكذا نظراً لأن الرعاة في هذه المناطق كانوا  
ينزحون مواشهم وأغنامهم ترعى في منطقة هذا القصر في فصل الشتاء  
لأن موسم الأمطار يتخلف عنه في منطقة القصر أعشاب وحشائش  
نسمع بالرعى .

أما المبنى المعروف بأسم حمام الصراخ فهي منطقة غير مأهولة  
بالسكان يتردد فيها الصوت بقوة مما جعل السكان يسمون المبنى بأسم  
حمام الصراخ ، أما قصرى الحجر ، فسمى هكذا نظراً لأن المناطق المحيطة

بهما بها أعداد كبيرة من الحيوانات ومن هنا أطلق أهالي المنطقة اسم الحير ، أي مكان تجمع الحيوانات وأما قصر خرانة فسمى هكذا أيضاً من قبل سكان المنطقة نظراً لشده حرارة نحو بانقرب من هـ القصر ، أما خربة المنية وخربة المنجر فكلمة خربة كناية عن المكان المني الصغير قد نسب أهالي المنطقة المكان إلى أقرب قرية منه . ( لوحات ٥ ، ٦ ) .

أما قصر الخلابات ، فنظراً لوجود مرعى كثيرة في المنطقة توفرت فيها الأغنام فقد أطلق عليها السكان اسم « الخلابات » . وهكذا كانت كل الأسماء التي عرفت بها هذه الأبنية حديثة عليها قام بأطلاقها السكان في عصور اكتشاف هذه الأبنية . ( لوحة ١ ، ٢ ) .

(٣) يلاحظ أن معظم المباني الصحراوية كانت تقع بالقرب من مصادر للمياه حتى الآن فعل سبيل المثال كشفت البعثات الأثرية عن آبار للمياه وخزانات بالقرب من المنى الرئيسي لقصر عمر<sup>(٢٨)</sup> . كما أن منطقة قصر الأزرق عبارة عن واجهة صحراوية بها العديد من البرك والبحيرات عند التقاء الحدود الأردنية السعودية<sup>(٢٩)</sup> ( وادي السرحان ) .

كما أن منطقة قصر الموقر بها بركة كبيرة للمياه<sup>(٣٠)</sup> . أما قصرى الطوبية والمنشى فكانا إلى جوار مجموعة من الآبار ، بالإضافة إلى بركة زيزياء التي يعتقد أنها كانت المصدر الرئيسي للمياه بالنسبة لسكان قصر المنشى<sup>(٣١)</sup> ، كما أن مصادر مياه قصر الخلابات فقد كانت تتألف من عدد من الآبار كبيرة وصغيرة ، وقد تم اكتشاف منطقة زراعية كانت تروى بنظام منطور للرعى من أبنية وسدود تتحكم في توزيع المياه التي كانت تتجمع من التلال المحيطة بالمنطقة<sup>(٣٢)</sup> .

(٤) يلاحظ أن المباني الصحراوية التي تنسب إلى الوليد الأول قرية الشبه من حيث التصميم ، من المباني الصحراوية التي ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام وربما يرجع هذا إلى أن البيعة الصحراوية تفرض نمط معين من البناء على سكانها ، كما أن طبيعة المادة الخام المتوفرة في هذه البيعة تفرض استعمالها .

(٥) اختلفت تصميمات الأبنية التي شيدت في عصر هشام الثاني عن الأبنية السابقة من عصور الوليد الأول ، فقد كان هشام الثاني نادر الاستقرار في عاصمته دمشق بل كان دائم التقل بين قصر الرصافة وقصر الحمير الشرق ، والملاحظ أن قصر الحمير كان يتصل بواحة قريبة بواسطة قناة للمياه يبلغ طولها نحو عشرة كيلومتر ، ومن هنا جاء الاعتقاد بأن هشام بن عبد الملك كان يقوم باصلاح الأراضي الزراعية عن طريق حفر قنوات للمياه .

(٦) يعتبر قصر الأحيضر استمرار لفكرة القصور الصحراوية ولكن حسب النموذج الايراني في البناء فالبنى عبارة عن مجموعة متكاملة من الأبنية .  
أنظر أشكال ( ٦ ، ٨ ، ٩ ) .

(٧) أن الأراء التي قيلت من قبل من قاموا بدراسة هذا الموضوع وخاصة فيما يتعلق بتفسير وظيفة هذه القصور وأسباب بنائها ، لم نستطع الاجابة عن هذا السؤال وانحصرت تفسيراتهم على أن هذه الأبنية كانت للهو والمتعة<sup>(٣٣)</sup> ، بل ذهب البعض الآخر إلى أن هذه الأبنية كانت عبارة عن معار لسيوخ القبائل<sup>(٣٤)</sup> ، أو أنها كانت مركزاً للمشرفين على استصلاح الأراضي الزراعية<sup>(٣٥)</sup> .

فالحقيقة أن تفسير وظيفة هذه القصور تجمع فيما بينها كل الآراء السابقة ونلخص رأينا في هذا الموضوع فيما يلي :

أن هذه الأبنية كانت محطات صحراوية على مسافات متباعدة ، وللتطلع لخريطة تواجد هذه الأبنية يدرك تماماً أنها مراكز مزودة بوسائل المعيشة من مياه للانسان والدواب ، وهي مختلفة الأحجام متشابهة التصميم تبعاً لأهمية المناطق الموجودة بها بالنسبة للطرق الصحراوية ، وبطبيعة الحال كانت القبائل القريبة من هذه الأبنية الصحراوية تعنى أمام خلفاء بني أمية عن حراسة هذه الأماكن والعناية بها ، وكان أمر طبيعي أن يكون هناك استقرار لهذه القبائل حول هذه المراكز لحماية الطريق والمسافرين عليه ، والممكن زراعة الأراضي إذا ما كانت صالحة

للزراعة ويبدو أن هذه المناطق كانت تخدم الحجاج في طريقهم إلى  
الأراضي المقدسة ، وخاصة الحجاج . عن طريق الحج الثامن والعراق .  
ولا معنى استخدام هذه الأبنية لخدمة الحجاج أي نفي كونها صالحة  
كأماكن للاجتماعات الخلفاء مع زعماء القبائل أو قواد الجيوش ولا  
يتعارض ذلك مع قيام القبائل الموالية للأمويين بحماية حدود الدولة أو  
الاشتراك في الفتوحات أو الصراعات العسكرية في داخل الدولة أو قمع  
الاضطرابات فيها ، ولا يتعارض وجود تصاورير مختلفة تغطي السقف  
والجدران في قصر عمرا ذلك لأن هذه الأبنية قد تمت على يد صناع  
محلين ولذا غلب على أسلوبهم الطابع الهلنستي سواء في طريقة البناء أو  
طريقة الزخرفة . وتذكرنا هذه الأبنية بصفة عامة وخاصة في ارتباطها  
بمصدر للمياه بمحطات الحجاج على طريق الحج المصري والتي تمتد على  
طريق الساحل السعدي إلى الحجاز .

## هوامش البحث

- (١) استعملنا لفظ الأبيية الصحراوية على اعتبار أن لفظ لقصور الصحراوية لا ينطبق على كل هذه الأبيية .
  - (٢) انظر خريطة رقم ٣ تبين مواقع هذه الأبيية الأثرية .
  - (٣) من هذه الأسماء :
- F.J. Bliss, Narrative of an Expedition of Moab and Gilead, Pefos 1895, S. 229 - 234.
- Merrilu, East of the Jordan, London, 1881.
- B. Tristan, the Land of Moab, London, 1873.
- (٤) يعتبر من أهم الأبيية الأثرية التي أفردت لها دراسات خاصة بها . أنظر :  
A. Musil, K useiyr Amra, Wien 1907.  
A. Musil, Pälmyrena ( American Geographical Society, Oriental Explorations and Studies, No. 4, New York, 1928, SS. 277 - 297.  
A. Musil, Op. Cit., S. 134.
  - (٥) E. Herzfeld, Die Geseis der islamischen kunst und das Mshattia proplem, Der Islam 1 ( 1910 ), S. 27.
  - (٦) H. Lammens, La Badiya et la Mira Sous les Omayyades, MFOB 4 1910, P. 91  
K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture 1, Umayyads, Oxford. 1969.
  - (٧) J. Sauvaget, Chateaux Umayyades der Syrie REI 35, 1967, P. 38.  
Wellhausen, Das arabische Reich und sein Sturz, Berlin, 1980, P. 207
- (٨) البلازى ، فتوح السودان ، لندن ١٩٦٦ ، ص ١٨٠ .
  - (٩) كتب موريل في كتابه السابق الإشارة إليه عن حياة لويلد الثاني في الصحراء واعتماد موريل على كتاب الأعاني للأصفهاني حول مجامع الغناء والطرب التي كانت تقام في الصحراء .
- (١٠) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ١ ص ٣٣٥ .  
المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٩٤ .  
الطبري ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ ، ٢٨٩ .

- J. Wellhausen, Op. Cit., S. 194. (١١)
- H. Gaube, Die Syrischen Wüstenschlösser, S. 205. (١٢)
- (١٣) انظر لوحة رقم ١ .
- F. Sarre und E. Herzfeld, Archeologische, Reise in Euphrat - und (١٤)  
Tigris Gebiet, II, Berlin 1920, Abb. 156.
- J. Sauvaget, Ghassanides, P. 117. (١٥)
- T. Nöldeke, Fürsten, ( Anm ! 16. ), S. 24. (١٦)
- H. Gaube, Op. Cit., S. 196. (١٧)
- (١٨) محمد محمود أرييس ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٨٣ ،  
ص ١٤٠ ، ١٤١ .
- تقارن أرييس ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١١٦ .
- H. Gaube, An Examination of the Ruins of Qasr Burqua, (١٩)  
( A.D.A.J. ) P. 19.
- J. Wellhausen, Op. Cit., S. 141. (٢٠)
- (٢١) لانكستر هاردنج ، آثار الأردن ، ص ٢٠٠ .
- H. Gaube, Op. Cit., S. 204. (٢٢) انظر لوحة رقم
- (٢٣) محمود العايدى ، آثار الأردن وفلسطين ، ص ٢٠٩ .
- كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، ص ٤ .
- (٢٤) محمود العايدى ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .
- (٢٥) المرجع نفسه ، ص ٢٠٢ — انظر لوحة ٤ شكل ٥ بالبحث .
- (٢٦) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
- (٢٧) كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص ٤٧ — انظر شكل ٤ بالبحث .
- (٢٨) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .
- محمود العايدى ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .
- (٢٩) محمود العايدى ، المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
- (٣٠) المرجع نفسه ، ص ٢١٧ .
- (٣١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٢ .
- (٣٢) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .
- (٣٣) بهذا هذا الرأي عن غالبية علماء الآثار الذين كتبوا في هذا الموضوع .
- (٣٤) انظر : محمود البراهي حسين ، نظرية جديدة في نفسنا بشأن وظيفة الفصوص  
الأموية ، الرياض ١٩٨٦ .

(٣٥) نظر نور صوفان ، الحائر ، عمان ١٩٧٩ ، ص ١١٥ .  
J. Sauvaget, Op. Cit., P. 1 - 52.

## مراجع البحث

- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، أربعة أجزاء ، القاهرة ١٩٦٤ .  
دانيال شلوميرجه ، قصر الحجر الغربي ( مترجم ) ، بيروت ١٩٤٥ .  
عفيف بهنر ، الفن الاسلامي والعربي في بداية تكوينه ، دمشق ١٩٨٢ .  
فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية — ماضيها وحاضرها  
ومستقبلها ، الرياض ١٩٨٢ .  
فواز طوقان ، قصر الحائر ، عمان ١٩٧٩ .  
كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الاسلام ، القاهرة ١٩٨٢ .  
لانكستر هاردينج ، آثار الأردن ، تعريب سليمان موسى ، الطبعة الثانية  
عمان ، ١٩٧١ .  
محمود ابراهيم حسين ، نظرية جديدة في تفسير نشأة القصور الأموية ،  
الرياض ١٩٨٦ .  
محمود العابدی ، الآثار الاسلامية في فلسطين والأردن ، عمان ١٩٧٣ .

A. Musil, Kuseir Amra, Wien, 1907.

D. Schlumberger, Les fouilles de Qasr el - Heir el - Gharbi, Syria 20, 1939

E. Herzfeld, Die Genesis der islamischen kunst und das Mshatta-  
Problem, Der Islam (1910).

F. Altheim und Ruth Stechl, Die Araber in der Alten Welt, I Berlin,  
1964.

F. Schachermayer, Alexander der Große. Das problem seiner  
Persönlichkeit und seines Wirkens, Wien 1973.

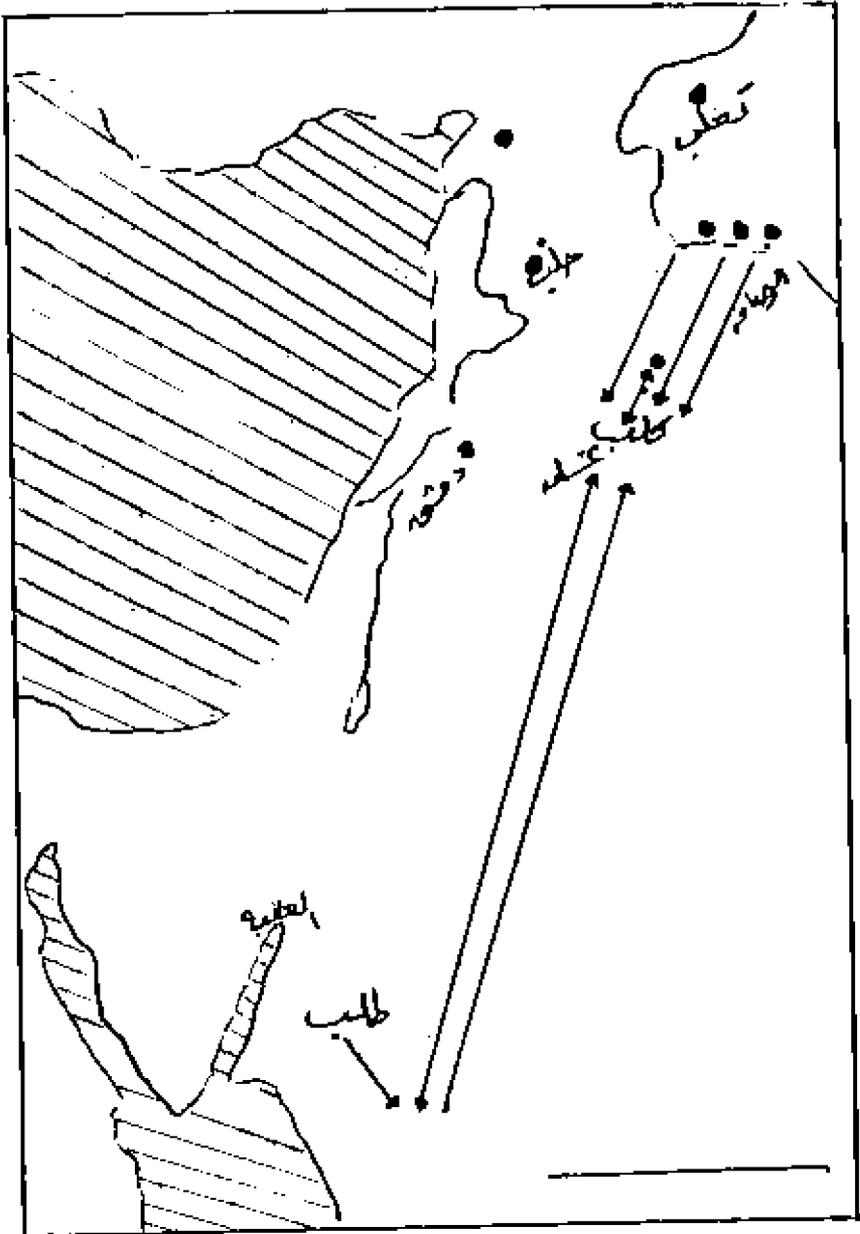
Heinz Gaube, Die Syrischen Wüstenschlösser, Wiesbaden 1979.

K.A.G. Creswell, Early Muslim Architecture I Umayyades, Oxford 1969

S. Merrill, East of Jordan, London, 1881.

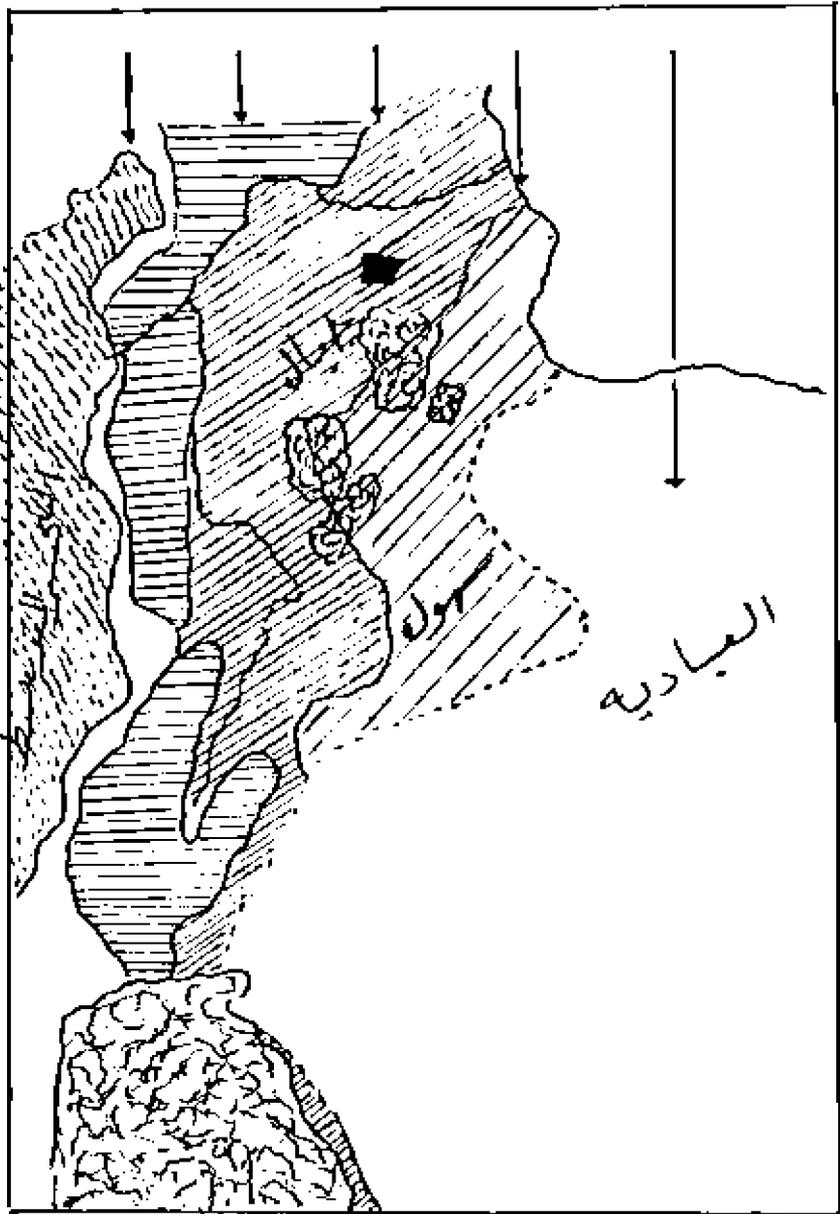
T. Nöldeke, Gesichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden  
Leiden 1878.

شكل ( ١ )



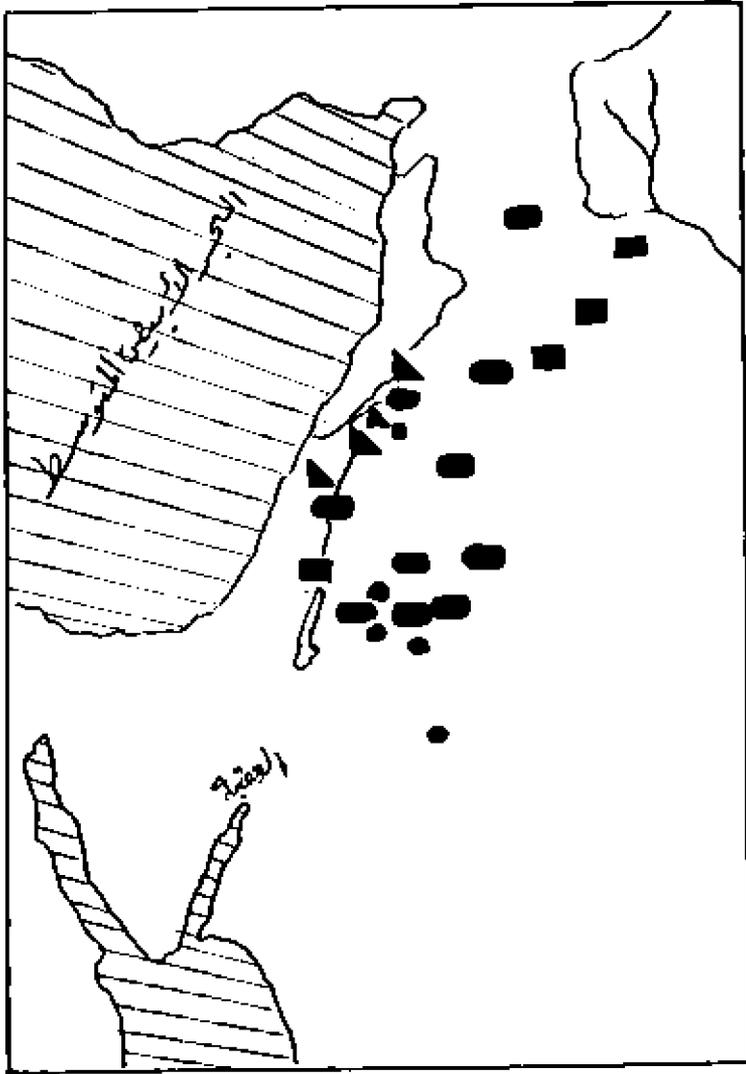
خريطة تبيّن القنابل الرئيسية في بلاد الشام

شكل ( ٢ )



خريطة تبين المناطق الجغرافية الأربعة الرئيسية

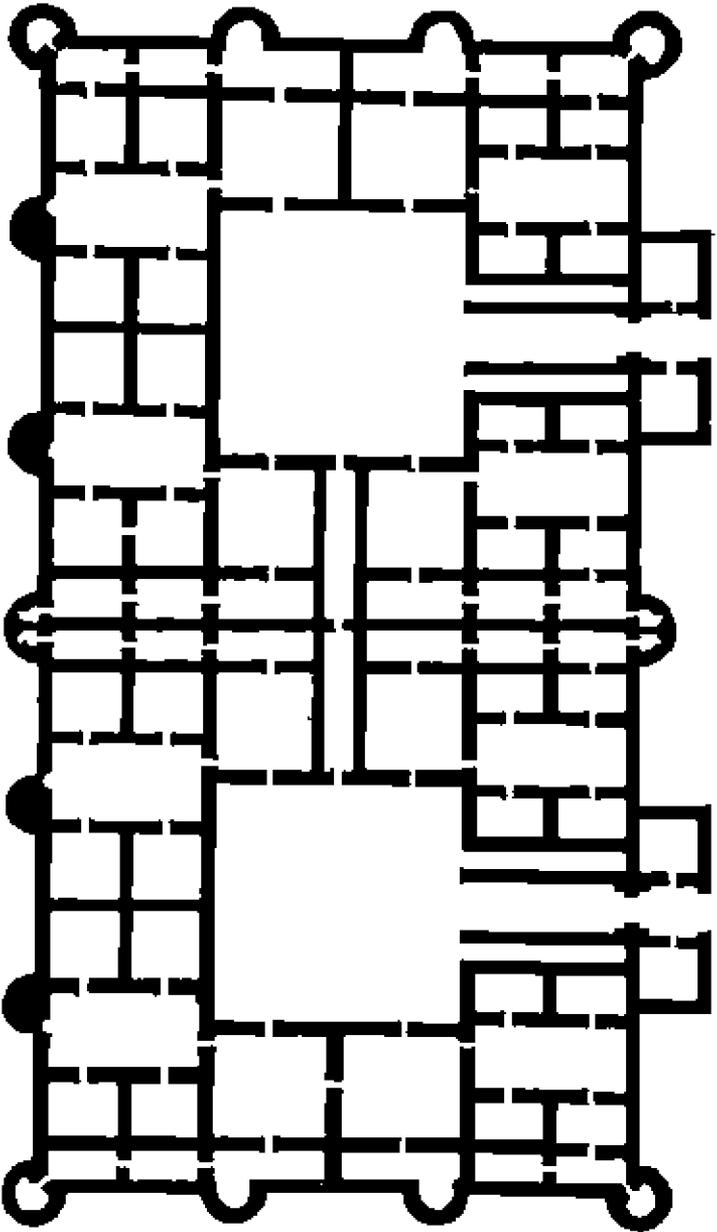
شكل ( ٣ )



خريطة تبين مواقع الأبية الصحراوية في بلاد النمام

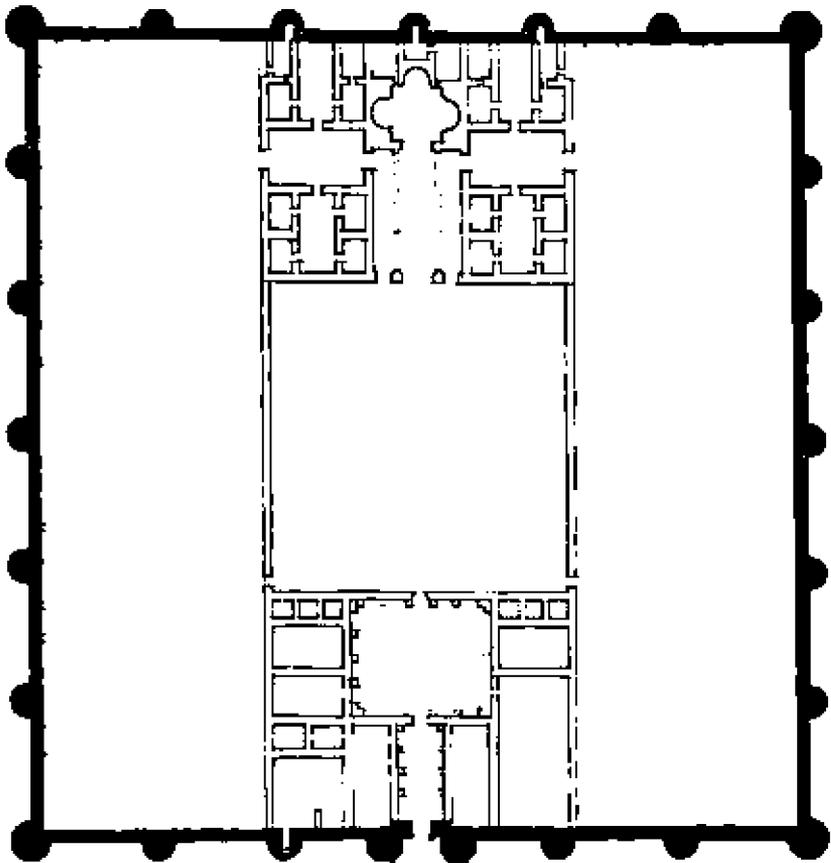
- ▲ منشآت عبد الملك
- منشآت الوليد الأول
- منشآت هشام
- منشآت متأخرة

شكل ( ٤ )



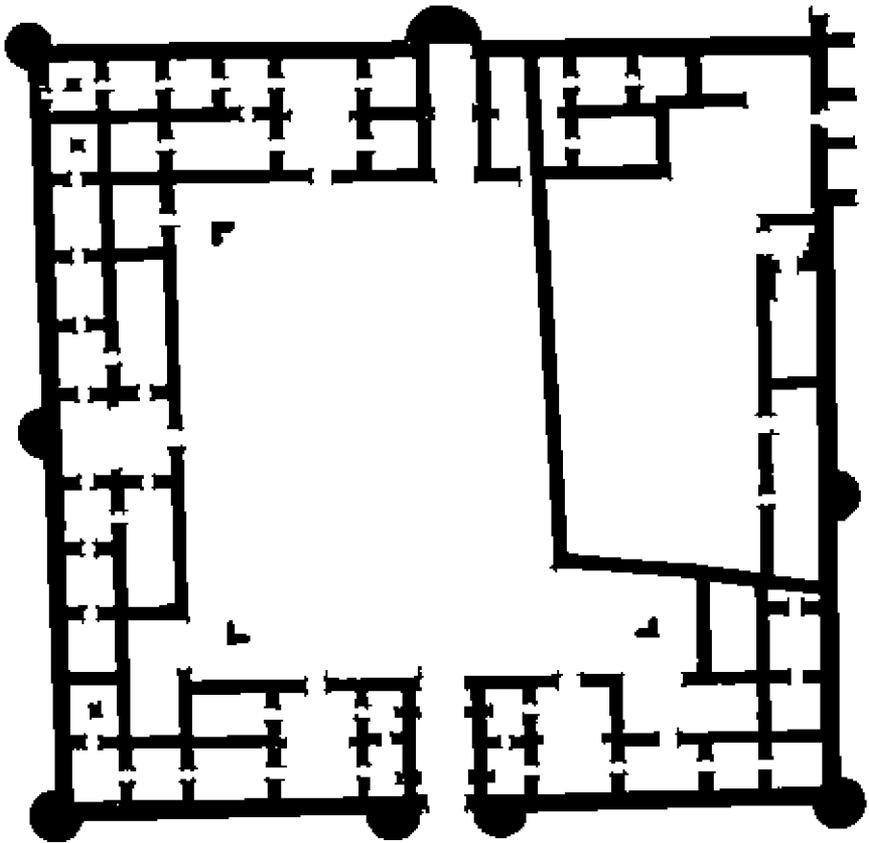
نفس الطريقة

شکل ( ۵ )



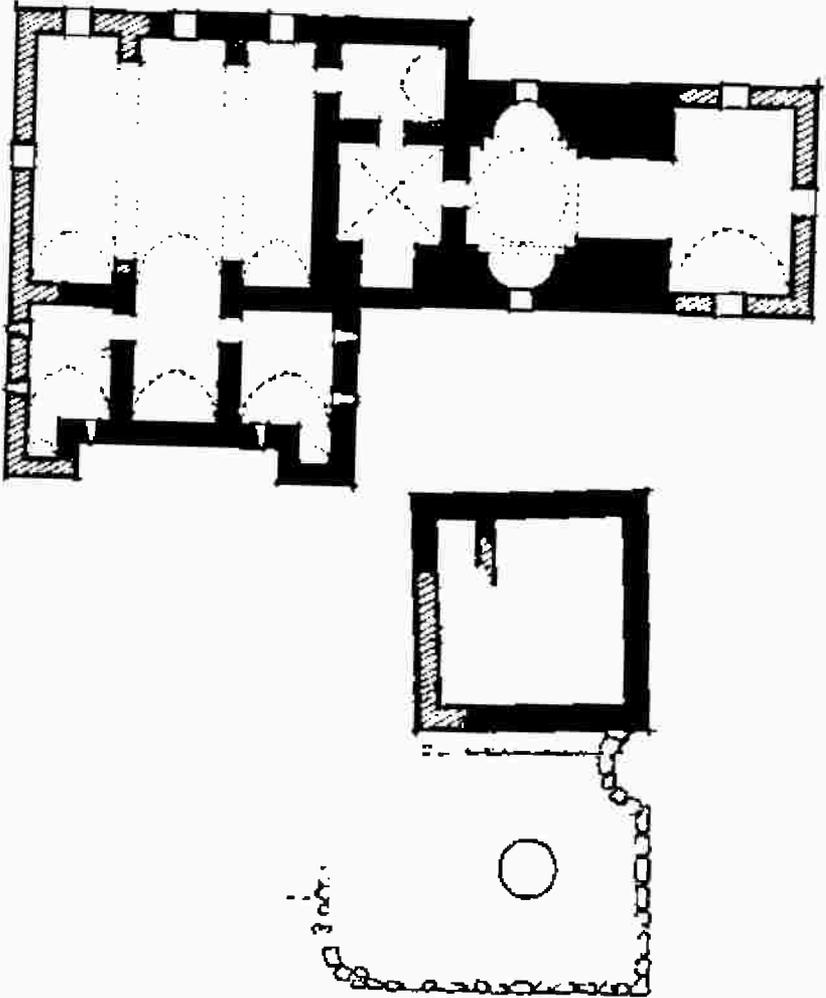
قصر المشتی

شكل ( ٦ )



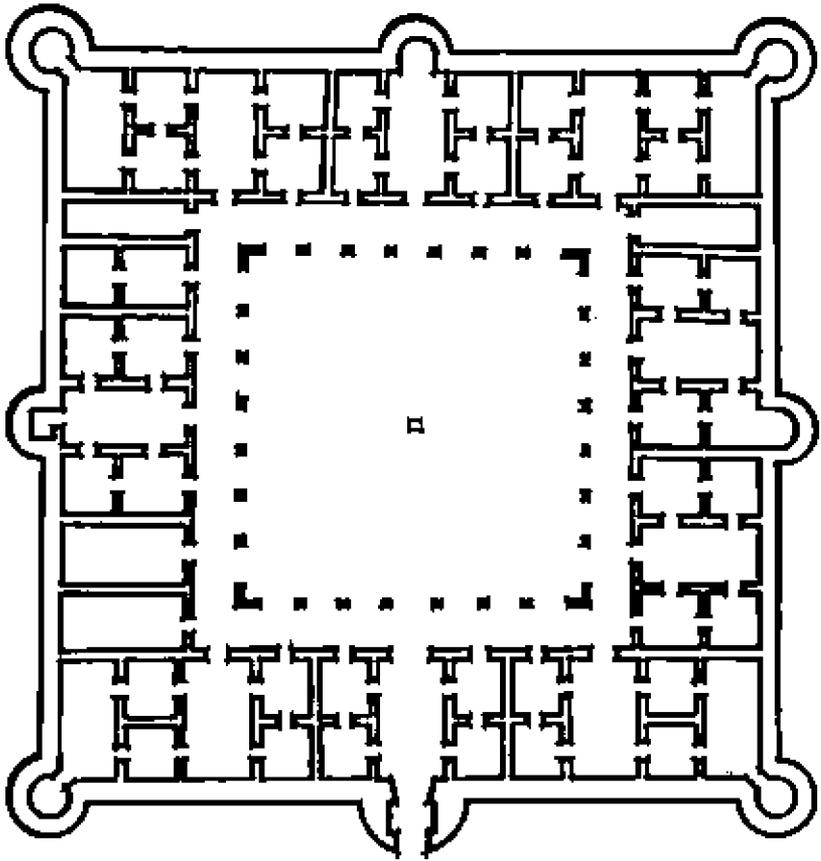
قصر الجير الفريد

شكل ( ٧ )



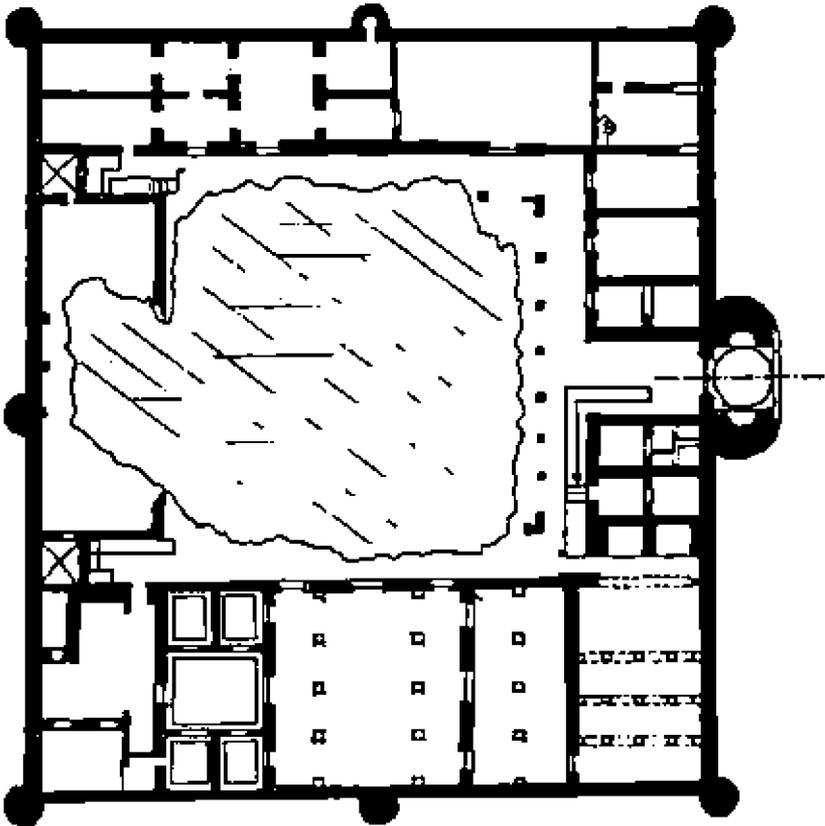
حمام الصراخ

شکل ( ۸ )



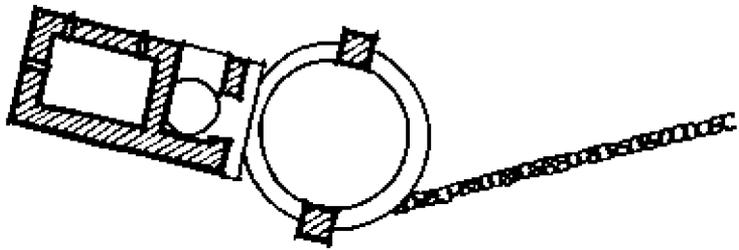
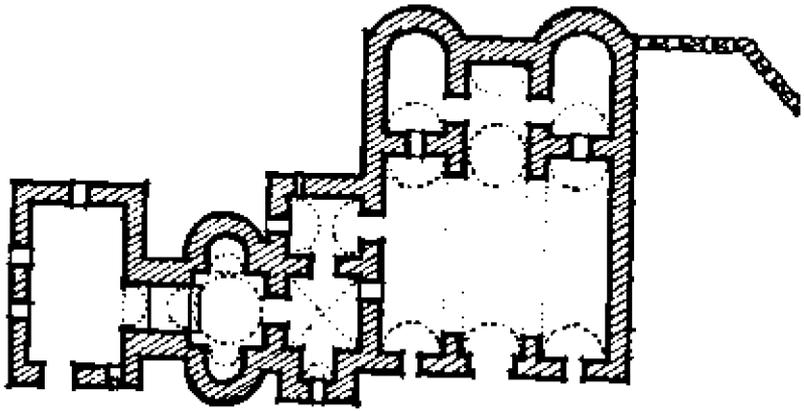
قصر امیر

شكل ( ٩ )



فصر المنية

شکل ( ۱۰ )



فصل عمره